

مقدمة لجامع الكتاب

ما عبس وجه فقير أو أقطب حاجب معوز إلا وكان البخل سببه والإمساك باعثاً عليه كأن يد البخيل مطبقة آلة كهربائية يمتد مجراها إلى كل طالب محتاج فيؤثر فيه دلائل الأسى وينقل إليه شكلها المنقبض فيعود ذلك المسكين بقلب منكسر ونفس صغيرة يتهدهه الجوع وما من مدافع ويتتابه الهلاك وما من ناظر إليه أو عاطف عليه فيكاد يقضى بين ذلك لولا يد كريم تغار عليه فتنشله من هوة الفقر والهلاك بآلة تسطو على تلك الآلة الكهربائية وهي «الإحسان» فتبطل تأثيرها ببعض دربهات يتسم لها وجه من عبث به يد الأقدار وينشرح لأجلها صدر من ضيقت عليه عوامل القضاء فيكون قد خلّص نفسه كادت تفارق الحياة بما يكسبه ثناء أهل الأرض وأجرًا عظيمًا من رب السماء.

وهاك ما ورد في مدح الكرام وذم البخل:

وما ضاع مال أورث الحمد أهله ولكن أموال البخيل تضيعُ

وليست أبادى الناس عندى غنيمة ورب يد عندى أشد من الأسر

إذا كنت جماعاً لمالك ممسكاً فأنت عليه خازن وأمينُ
نؤديه مذموماً لى غير حامدٍ فيأكله عفواً وأنت دفينُ

ويظهر عيب المرء فى الناس بخله ويحجبه عنهم جميعاً سخاؤه
تردّى بأثواب السخاء فإننى أرى كل عيب فالسخاء غطاؤه

أترجو أن تسود بلا عناء وكيف يسود ذو الدعة البخيلُ

ولم يجتمع شرق وغرب لقاصد ولا المجد في كف امرئ والدرهم
ولم أرَ كال معروف تدعى حقوقه مغارم في الأقوام وهي مغانم

ليس يعطيك للرجاء ولا للـ خوف لكن يلذ طعم العطاء

فإنك لا تدري إذا جاء سائل أنت بما تعطيه أم هو أسعد

من يفعل الخير لا يعدم جوائزه لا يذهب العرف بين الله والناس

يد المعروف غنمٌ حيث كانت تحملها كفور أم شكور
ففى شكر الشكور لها جزاءً وعند الله ما كفر الكفور

خلٌ إذا جئته يوماً لتسأله أعطاك ما ملكت كفاً واعتذرا
يخفى صنائعه والله يظهرها إن الجميل إذا أخفيتها ظهرا

اعمل الخير ما استطعت وإن كان قليلاً فلن تحيط ب كله

إن الصنعة لا تكون صنعة حتى يصاب بها طريق المصنع
فإذا صنعت صنعة فاعمل بها لله أو لذوى القرابة أو دع

لعمرك ما المعروف فى غير أهله وفى أهله إلا كبعض الودائع
فمستودع ضاع الذى كان عنده ومستودع ما عنده غير ضائع

وما الناس فى شكر الصنعة عندهم وفى كفرها إلا كبعض المزارع
فمزرعة طابت وأضعف نبتها ومزرعة أكدت على كل رارع

فليت شعري ما أبقى لك المالُ
فكيف بعدهم حالت بك الحالُ
واستحكم القول في الميراث والمقالُ
وأدبرت عنك والأيام أحوالُ

أبقيت مالك ميراثاً لوارثه
القرم بعدك في حال تسرهم
ملوا البكاء فما يبكيك من أحد
ألتهم عنك دنيا أقبلت لهم

فأنت إذا والمقترون سواء
على أهلها والمقترون براء

إذا كنت ذا مال ولم تك ذا ندى
على أن في الأموال يوماً تباعة
لأبي مسلم الخولاني:

والبذل أحسن ذلك الحسن
ومخبر عني ولم يرني
داري وموعد عنهم وطني
ولحر عرضي غير ممتهن

إن المكارم كلها حسن
كم عارف بي لست أعرفه
يأتيهم خبري وإن بعدت
إني لحر المال ممتهن

ولعبد العزيز بن مروان:

وأعمل فكر الليل والليل عاكراً
سواي ولا من نكبة الدهر ناصر
وذاوله الهم الطروق المساور
في الخير إني للذي ظن شاكر

إذا طارقات الهم صاحبت الفتى
وباكرنى في حاجة لم يجد لها
فرجت بمالي همه عن كرامة
وكان له فضل على بظنه
ولغيره:

والبخل من سوء ظن المرء بالله

من ظن بالله خيراً جاد مبتدأ
ولغيره مضمناً قول بزرجمهر:

فليس ينقصها التبذير والسرف
فالحمد منها إذا ما أدبرت خلف

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة
وإن تولت فأحرى أن تجود بها
وقيل أيضاً:

ن أما زمانك منك أجلد
ك وعد يومك ليس من غد
فازرع بها ما شئت تحصد

يا من تجلد للزما
سلط نهباك على هوا
إن الحياة مزارع

آثارهم والعين تفقد
هذا يذمُّ وذاك يحمد
يصلح وإن أفسدت يفسد

والناس لا يبقى سوى
أومًا سمعت بمن مضى
المال إن أصلحته

ولحاتم الطائي:

أصاحك ضيفي قبل إنزال رحله
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى
ولبكر بن النطاح:

ويخصب عندي والمكان جديبٌ
ولكنما وجهُ الكريم خصيبٌ

تمسك بجدوى مالك وصلاته
فأسدى بها المعروف قبل عداته
لقاسم من يرجوه شطر حياته
وجاز له أعطاه من حسناته
وإشراكه في صومه وصلاته

أقول لمرتاد الندى عند مالك
فتى جعل الدنيا وفاء لعرضه
فلو بددت أمواله جود كفه
وإن لم يجز في العمر قسمٌ للمالك
وجاد بها من غير كفرٍ بربه
ولآخر:

وما طمع العواذل في افتقادي
وهل تجبُّ الزكاة على الجواد

ملأت يدي من الدنيا مرارًا
ولا وجبت عليَّ زكاة مالٍ
ولغيره:

وتبقى وجوه الراغبين بمائها

عطاؤك لا يغنى ويستغرق الثنا
ولا بن عبد ربه:

ينيل وإن لم يعتمد لنوالٍ
ولكن من يعطى بغير سؤالٍ

كريمٌ على العلات جزلٌ عطائوه
وما الجود من يعطى إذا ما سأله
وللحسن بن هاني:

والأ فإني عاذرٌ وشكور

فإن تولني منك الجميل فأهله
ولحاتم الطائي:

الله إذ قال مفصِّحًا إفصاحا
فتنقوا لها الوجوه الصباحا
ما به خاب من أراد الدجاحا

قد تأولت فيك قول رسول
إن طلبتم حوائجًا عند قومٍ
فلعمرى لقد تنقيت وجهًا

وإليك ما ورد في مدح الكرم وذم البخل:

قال أكثم بن صيفي حكيم العرب: ذللوا أخلاقكم للمطالب وقودوها إلى المحامد وعلموها المكارم ولا تقيموا على خلق تدمونه من غيركم وصلوا من رغب إليكم وتحلوا بالجود يلبسكم المحبة ولا تعتقدوا البخل فيوافيكم الفقر. وقال خالد بن عبد الله القسري وهو على المنبر: أيها الناس عليكم بالمعروف فإن الله لا يعدم فاعله جوازيه، وما ضعفت الناس عن أدائه قوى الله على جزائه.

وكان سعيد بن العاص يقول على المنبر: من رزقه الله رزقًا حسنًا فلينفق منه سرًا وجهراً حتى يكون أسعد الناس به فإنما يترك ما ترك لأحد رجلين أما المصلح فلا يقل عليه شيء وأما المفسد فلا يبقى له شيء. قال بزرجمهر: إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق منها فإنها لا تبقى.

وكان كسري يقول: عليكم بأهل السخاء والشجاعة فإنهم أهل حسن الظن بالله ولو أن أهل البخل لم يدخل على من ضر بخلهم ومذمة الناس لهم وإطباق القلوب على بغضهم إلا سوء ظنهم بربهم في الخلف لكان عظيمًا.

وقال عبد الله بن عباس: سادات الناس في الدنيا الأسخياء وفي الآخرة الأتقياء.

وقيل لأبي عقيل البليغ العراقي: كيف رأيت مروان بن الحكم عند طلب الحاجة إليه؟ قال: رأيت رغبته في الإنعام فوق رغبته في الشكر وحاجته إلى قضاء الحاجة أشد من حاجة صاحب الحاجة.

وقالت أسماء بنت خارجة: أحب أن لا أرد أحدًا في حاجة طلبها لأنه لا يخلو أن يكون كريمًا فأصون له عرضه أو يكون لئيمًا فأصون عرضي عنه. وقيل: الأيام مزارع فما زرعت فيها تحصد.

وقال الأحنف بن قيس: ما ادخرت الآباء للأبناء ولا أبقت الموتى للأحياء شيئًا أفضل من اصطناع المعروف عند ذوى الأحساب. وقيل: أحى معروفك بإماتة ذكره، وعظمه بالتصغير له.

وقالت الحكماء: من تمام كرم المنعم التغافل عن حجتِه والإقرار بالفضيلة لشاكر نعمته.

وقيل أيضاً: للمعروف ثلاث خصال: تعجيله وتيسيره وتستيره فمن أحل بواحدة منها فقد بخش المعروف حقه وسقط عنه الشكر.

وللنبي ﷺ: «من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤونة الناس عليه فإن لم يقم بتلك المؤونة عرض النعمة للزوال».

وقال جعفر بن محمد: لله خلقاً من رحمته برحمته لرحمته وهم الذين يقضون حوائج الناس فمن استطاع منكم أن يكون منهم فليكن.

وقال الإمام على (رضى الله عنه) لأصحابه: من كانت له إلى منكم حاجة فليرفعها فى كتاب لأصون وجوهكم عن المسألة.

وقيل: من بذل إليك وجهه فقد وفاك حق نعمتك.

وقيل: أكمل الخصال ثلاث: وقار بلا مهابة وسماح بلا طلب مكافأة وحلم بغير ذل.

وقيل أيضاً: السخى من كان مسروراً ببذله متبرعاً بعبائه لا يلتمس عرض دنيا فيحبط عمله ولا طلب مكافأة فيسقط شكره ويكون مثله مثل الصائد الذى يلقى الحب للطائر لا يريد نفعها ولكن نفع نفسه.

محتويات كتاب نواذر الكرام:

القسم الأول: فى نواذر البرامكة

الثانى: معن بن زائدة.

الثالث: حاتم الطائى.

الرابع: الخليفة المهدى.

الخامس: هارون الرشيد.

السادس: الأمين والمأمون.

السابع: متفرقة فى الكرم.